

موقف نور الدين محمود زنكي من الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي

(541-569هـ / 1146-1174م)

الدكتور حسين رجا الشقيرات

جامعة الحسين بن طلال

الملخص:

تسلط هذه الدراسة الضوء على سيرة شخصية هامة من شخصيات التاريخ الإسلامي غطت فترة زمنية امتدت من (541هـ/1146م) = (569هـ/1174م)، وهي فترة تولي نور الدين محمود زنكي السلطة. وتتناول الدراسة تحديداً دوره في الجهاد ضد المد الصليبي على المشرق الإسلامي والتصدي لهذا الزحف بكل جراءة واقتدار. وأبرز المحطات الجهادية في حياة هذا البطل الإسلامي وجهوده في إيجاد جبهة إسلامية موحدة ضمت كل من مصر والموصل ودمشق. والدراسة معنية بالدرجة الأولى ببيان دور نور الدين محمود في مقاومة المد الصليبي وجهاده في بيت المقدس وموقفه من الإمارات الصليبية في المشرق الإسلامي. وقد خلصت الدراسة إلى تبني نور الدين محمود مشروعاً نهضوياً إسلامياً هدفه تطهير المشرق الإسلامي من الوجود الصليبي. وقد عمل على تحقيق هذا المشروع بكل ما أوتي من قوة مستخدماً الوسائل السلمية والعسكرية في سبيل ذلك.

الكلمات المفتاحية: نور الدين محمود، آل زنكي، المد الصليبي، الجبهة الإسلامية.

The Stand of Noor Al-Din Mahmoud Zenki on the Presence of Crusaders in Al-Mashreq Al-Islami (541 – 569 AH / 1146 – 1174 AD)

Abstract

This study aims to shed a light on the biography of a significant character in Islamic history. It targets the period (541 – 569 AH / 1146 – 1174 AD). During this period, Noor Al-Din Mahmoud Zenki was ruling. This study aims to shed a light on the role of this person in Jihad against the Crusaders invasion in Al-Mashreq Al-Islami and the way he fought against such invasion with courage and strength. It aims to shed a light on the most significant Jihad-related events in the life of this hero who's an Islamic figure. It sheds a light on the efforts of this person in finding a united Islamic alienation. This alienation involves Egypt, Damascus and Al-Mousel. The study is mainly concerned in identifying the role of Noor Al-Din Mahmoud Zenki in fighting against the Crusaders invasion in Bait Al-Maqdes and his stand on having Crusader Emirates in Al-Mashreq Al-Islami. It was found that Noor Al-Din Mahmoud Zenki launched an Islamic renaissance project which aims at purifying the Al-Mashreq Al-Islami from the presence of the Crusaders. Noor Al-Din Mahmoud Zenki exerted all his efforts through using all the peaceful and military means in order to implement this project.

Keywords: Noor Al-Din Mahmoud, Zenki, Crusaders invasion, Islamic alienation.

المقدمة:

تتطلب دراسة التاريخ الإسلامي الوقوف على سيرة أبطال هذا التاريخ عبر حقبة المختلفة. ودور هؤلاء الأبطال في توجيه أحداث تاريخ الأمة الإسلامية ووقوفهم سداً منيعاً أمام أطماع أعدائها. وقدرتهم على كشف مؤامراتهم ورد كيدهم. ومن هؤلاء الأبطال الذين يزخر بهم تاريخنا الإسلامي السلطان نور الدين محمود زنكي مؤسس الدولة النورية، وقاهر الصليبيين وبطل الجهاد في بيت المقدس، وقائد توحيد الجبهة الإسلامية في مصر والموصل ودمشق.

ولعل دراسة شخصية نور الدين محمود، ودوره في مقاومة المد الصليبي، وقدرته على إيجاد جبهة إسلامية موحدة، يدفعنا لأن نتخذ سيرة هذا البطل قدوة لنا نحو تقييم **أوضاعنا** الحالية علنا نصل للخلاص مما نحن فيه.

لقد تناولت الدراسة سيرة نور الدين محمود ودوره في مقاومة المد الصليبي على المشرق الإسلامي. ووقوفه **أمام** هذا المد في بيت المقدس. وقدرته على توحيد جبهة مصر والموصل ودمشق. وموقفه من الإمارات الصليبية التي نجح الصليبيون في تأسيسها في المشرق الإسلامي. على أنه لا بد من الإشارة إلى أن حياة نور الدين لم تكن كلها جهاد مع الجانب الصليبي، بل تخلل ذلك فترات من الصلح والمهادنة، تغرغ بموجبها لإقامة دولته النورية التي كانت فيما بعد نواة للدولة الأيوبية، التي استكملت جهود هذا البطل على يد بطل آخر من أبطال التاريخ الإسلامي وهو القائد صلاح الدين الأيوبي. ويمكن القول إن الدولة النورية بشكل خاص ودولة آل زنكي بشكل عام كانت الأرضية التي قامت عليها الدولة الأيوبية فيما بعد.

حياته ونشأته:

ينحدر نور الدين محمود من أصول تركمانية. ويعود في نسبه إلى قبائل ساب يو. وهو الابن الثاني للسلطان عماد الدين زنكي ابن آق سنقر بن عبد الله من آل ترقان* (ابن الأثير: الباهر، ص4؛ ابن خلكان: وفيات، ج2، ص325؛ ابن العديم: بغية، ج8، ص3545؛ ابن كثير: البداية، ج12، ص220؛ ابن العماد: شذرات، ج5، ص21). الذي كان في خدمة السلاجقة. فنال مكانة كبيرة عندهم ومنزلة مرموقة لدى السلطان السلجوقي ملكشاه. وتقديراً لجهوده في استعادة الموصل وفرضه للنظام والسلطة السلجوقية في حلب عام 477هـ/1084م (ابن الأثير: الباهر، ص35؛ ابن العديم: بغية، ج8، ص3855؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص30؛ ابن عساكر: تاريخ، ج57، ص118؛ ابن خلكان: وفيات، ج2، ص225؛ الذهبي: تاريخ، ج39، ص370). وتقديراً لمواقف عماد الدين زنكي أمر السلطان السلجوقي ملكشاه بإسناد إدارة إمارة حلب وما يلحق بها لإدارة عماد الدين. (ابن عساكر: تاريخ، ج57، ص115؛ ابن الأثير: الباهر، ص35) وقد

* عماد الدين زنكي (478هـ-541هـ/1085-1146م) بن قسيم الدولة الحاجب آق سنقر. من أولاده غازي. ومودود. ونصرة الدين أمير أميران. سماه ابن الأثير في الباهر بالملك الشهيد ووالده آق سنقر هو أول ملوك أتاكية الموصل. وأهم إنجازات عماد الدين تحرير إمارة الرها. قتل على يد مماليكه أثناء حصاره لقلعة جعبر ودفن في صفيين (ابن الأثير: الباهر، ص74-84).

استهل عماد الدين زنكي عهده في إمارة حلب بنشاط جهادي على معاقل الصليبيين حتى وصل نفوذه إلى الجزيرة الفراتية. وقد أثمر هذا النشاط بدخول إمارة الرها* الصليبية عام 599هـ/1144م. (ابن القلانسي: ذيل، 285؛ ابن الأثير: الباهر، ص66. الكامل، ج9، ص330؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص165؛ الجنزوري: إمارة، ص316؛ الرويضي: إمارة الرها، ص378). وظل عماد الدين زنكي وفتياً لمشروعه الجهادي إلى أن تم اغتياله وتصفيته عام 541هـ/1146م. تاركاً خلفه أربعة من الأبناء منهم نور الدين محمود زنكي. (أبو شامة: الروضتين، ج1، ص435؛ ابن العديم: بغية، ج4، ص2025؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج5، ص365).

ولد نور الدين محمود عام 511هـ/1118م. (ابن عساكر: تاريخ، ج1، ص30؛ ابن الأثير: الباهر، ص20؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص70؛ ابن خلكان: وفيات، ج5، ص185؛ الكتبي: عيون، ج12، ص72؛ ابن كثير: البداية، ج12، ص280). ويكنى أبو القاسم ويقال له (ابن القسيم) وهو نور الدين بن قسيم الدولة بن أقي سنقر التركي. (ابن عساكر: تاريخ، ج57، ص116؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص31؛ ابن كثير: البداية، ج12، ص283؛ الذهبي: تاريخ، ج39، ص370). ومن ألقابه الملك العادل نور الدين، كما حمل لقب شهيد في بعض المصادر، ويبدو أن هذا اللقب يقصد به والده عماد الدين باعتباره مات اغتيالاً؛ لأنه من المعروف أن نور الدين لم ينل الشهادة وإن كان جديراً بها بالنظر إلى جهوده في مقاومة المد الصليبي. ولذلك هناك خلط بين المصادر في إسناد هذا اللقب لنور الدين. (الذهبي: تاريخ، ج39، ص385؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج5، ص279؛ ابن إياس: بدائع، ج1، ص240؛ النعمي: الدارس، ج1، ص315).

ومن الألقاب التي حملها نور الدين محمود لقب المجاهد، ولقب الأمير، ولقب ناصر أمير المؤمنين، والمنصور، والزاهد، والعالم، والمؤيد، والمظفر. وجميعها تشير إلى المكانة التي حضي بها نور الدين كرجل دولة أدى دوراً بارزاً في الصراع الإسلامي مع القوى الصليبية. (ابن عساكر: تاريخ، ج1، ص57؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج5، ص365؛ السرتاوي: نور الدين، ص45؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص25).

* الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم مستحدثها الرهاء بن البلندي بن مالك بن دعر (ياقوت: معجم، ج3، ص106).

أما فيما يتعلق بنشأة نور الدين محمود فقد ذكرت المصادر أنه كان ملازماً لأبيه منذ سن مبكرة. ولا تسعفنا هذه المصادر إلا بمعلومات ضئيلة حول محطات حياته ونشأته. وهناك إشارات حول صلاحه ونشأته على حب القرآن، وتعلمه للرمي والفروسية. شأنه في ذلك شأن بقية أبناء القادة والأمراء. إضافة لمرافقته لأبيه مبكراً وحضوره لفتوحاته وحروبه، حيث كان حاضراً لحظة استشهاد أبيه على أبواب قلعة جعبر* 541هـ/1146م. (ابن كثير: البداية، ج12، ص275؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص165؛ الأسدي: الكواكب، ص15؛ الرويضي: إمارة الرها، ص421).

احتل نور الدين مكانة خاصة عند والده فكان أقرب أبنائه إليه. لما كان يرى فيه من علامات نجابة وذكاء. ويمكن القول هذه المكانة هي التي دفعت قادة والده لاختياره خليفة لأبيه على حلب. (ابن الأثير: الكامل، ج9، ص112). ومن أبرز هؤلاء القادة الداعمين لترشيحه القائد أسد الدين شيركوه. الذي اقترح عليه أن يسير إلى حلب ويتولى أمرها قائلاً: (أنا أعلم أن الأمر جميعه إليك. وأن ملك الشام بحلب. وأن من ملك حلب ملك الشرق). (أبو شامة: الروضتين، ج1، ص170). وقد ناصر هذا الطرح قادة آخرون أمثال صلاح الدين الياغسياني*. وسيف الدولة سوار*. ومجد الدين بن الداية*. ولعل هذا الدعم والتأييد جاء لثقة هؤلاء القادة بقدرات نور الدين ومكانته واعتباره الرجل المناسب لخلافة أبيه.

صفاته وثقافته:

حمل نور الدين محمود جملة من الصفات التي جعلت منه الشخصية المناسبة لحمل الأمانة وخلافة والده. فكان عادلاً محباً للجهاد حريصاً على رفعة الدين. حسن السيرة والسريرة. (أبو شامة: الروضتين، ج1، ص25)

ويشير ابن الأثير إلى مجمل الصفات التي حملها نور الدين بقوله: "ولم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ملكاً أحسن سيرة ولا أكثر تحريماً للعدل والإنصاف من الملك العادل نور الدين. اقتصر ليله ونهاره على عدل ينشره.

* قلعة على الفرات قرب صفيين سميت قديماً دوسر نسبة لبانيها وهو أحد غلمان النعمان بن المنذر ثم ملكها رجل أعمى يقال له جعبر بن مالك فنسبت إليه. (ياقوت: معجم، ج2، ص141؛ ابن خلكان: وفيات، ج1، ص364)

* هو محمد بن أيوب صاحب حماة وأمير حاجب زنكي ويذكر أبو شامة أنه كان مع الجيش النوري الذي قدم لدمشق (أبو شامة: الروضتين، ج1، ص302).

* ذكره أبو شامة دون أن يتوسع في ترجمته

* هو الأمير أبو بكر أمه داية نور الدين محمود زنكي وعرف بها واسمه محمد بن نشتكين كان من أعظم الأمراء منزلة عند نور الدين. اعتمد عليه في حكم حلب (ابن الأثير: الباهر، ص170. الكامل، ج10، ص27؛ ابن العديم: بغية، ج10، ص4360).

أو مظلمة يرفعها. أو جهاد يتجهز له. أو عبادة يقوم بها. أو إحسان يوليه. أو إنعام يسديه". ومن صفاته أنه كثير العبادة، عميق الإيمان، قائماً ليله، حريصاً على صلاة الجماعة. صائماً زاهداً. حريصاً على تطبيق شرع الله في كل شؤون حياته. (ابن الأثير: الباهر، ص163؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص33).

تحلى نور الدين بصفة التواضع والتقوى مع هيبة في سلطانه. ومن ذلك أنه كان يتعامل مع عامة الناس وخواصهم بتواضع. فكان كل من "رأه عرف من جلاله سلطانه وهيبه ملكه ما يبهره. وإذا ما فاوضه رأى من تواضعه ولطافته ما يحيره". (الذهبي: سير، ج20، ص530؛ النعمي: الدارس، ج1، ص608).

لقد أجمل الأصفهاني جملة من صفات نور الدين بقوله: "وهو أعف الملوك وأتقاهم. وأصلحهم عملاً. وأنجحهم أملاً. وأرجحهم عقلاً. وأوضحهم آياً". إضافة إلى زهده في الدنيا وإقباله على الآخرة. لم يأخذ من مال الدولة إلا ما أفتى له به الفقهاء. ولم يتصرف إلا بما يخصه ويملكه من حر ماله. وتذكر المصادر "أنه كان يأكل من عمل يده وأنه عمل غالباً". (الأصفهاني: البرق، ج1، ص55؛ الاسدي: الكواكب، ص54؛ النعمي: الدارس، ج1، ص610).

لبس نور الدين الصوف وأكل الخشن من الطعام. وتورع عن الخوض في أموال المسلمين. وقدم مصلحة الأمة على مصلحته الخاصة. ومن ذلك ما ذكره ابن الأثير حول طلب زوجة نور الدين زيادة في نفقتها حيث رد عليها قائلاً: "من أين أعطيها. أما يكفيها ما عندها؟ والله لا أخوض نار جهنم في هواها. إنما تحت يدي أموال للمسلمين وأنا خازنهم عليها. فلا أخونهم فيها". (ابن الأثير: الباهر، ص164؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص45). ومع كل هذا الورع والزهد كان نور الدين كريماً على أهل بيته وأسرته. سباقاً للخير. ولذلك جاء رده على طلب زوجته بزيادة نفقتها قائلاً: "لي بمدينة حمص ثلاث دكاكين ملكا. قد وهبتك إياها فلتأخذنيها". (ابن الأثير: الباهر، ص164).

لقد غلبت على نور الدين صفات العدل. وإنصاف المظلوم حتى أنه جلس مع القضاة مستمعاً لمظالم الناس. فاحياً العدل في بلاده ونشره بين الناس. وقد حمل صفات القائد المسلم التي أثنت عليها المصادر كالتواضع، والصدق، والإخلاص والشهامة، والعفاف، والسماحة، والحلم والوفاء. (ابن العماد: شذرات، ج2، ص230).

كما حمل من الصفات العسكرية التي امتلكها ما جعلت منه قائداً محنكاً مهاب الجانب. فكان حازماً شجاعاً حسن الرأي أصبر الناس في الحرب. وأحسنهم مكيده ورأياً. ثابت القدم صائب الضرب متقدماً أصحابه. قوي الشخصية ذا هيبة

وتجربة وبأس. (ابن عساكر: تاريخ، ج57، ص120؛ ابن الأثير: الباهر، ص165؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص35؛ النعمي: الدارس، ج1، ص607).

ويبدو أنّ الصفات التي تمتع بها القائد نور الدين كان لها الأثر الأكبر في ولادة جيل إسلامي من القادة الذين حملوا فكر وثقافة وصفات نور الدين. أمثال صلاح الدين الذي تربى في المدرسة النورية. والذين استكملوا مشروع نور الدين النهضوي.

أما ثقافته فقد صبغت بالصبغة الدينية. حيث كان ميالاً للعلوم الدينية بشكل خاص، حيث كان "عارفاً بالفقه الحنفي بعيداً عن التعصب. والإنصاف سجيته". سمع الحديث ودرسه وجمعه طلباً للأجر والثواب وحرصاً على نشر السنة الشريفة، حدث نور الدين عن علماء من حلب ودمشق وأجازوا له. كان كثير المطالعة للكتب الدينية والتتبع للسنة النبوية. عاكفاً على تلاوة القرآن الكريم. متكلماً باللغتين التركية والعربية، حسن الخط وبسيط الأسلوب في الكتابة. (أبو الفداء: مختصر، ج1، ص76؛ الذهبي: تاريخ، ج39، ص375؛ السرتاوي: نور الدين، ص21).

ومع اهتمامه بالعلوم الدينية والثقافة فقد اهتم نور الدين بأنواع من الرياضات. كالفرسية وإتقان اللعب بالصولجان. وأظهر مهارة فيها. ومن الرياضات التي برع فيها نور الدين رياضة الصيد. حيث يشير أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار أنه ممن مارس رياضة الصيد مع نور الدين محمود. وفي هذا شهادة شاهد عيان على حب نور الدين لرياضة الصيد. (ابن منقذ: الاعتبار، 199).

وفاته:

في عام 552هـ/1157م أصاب نور الدين مرضاً يؤس الأطباء من إمكانية شفائه منه. واستبشر الصليبيون خيراً بهذا المرض. وذلك لشدة وطأة نور الدين عليهم، وصعوبة تحركهم في مناطق نفوذه. (الصوري: الأعمال المنجزة، ج3، ص422). لكن إرادة الله قضت بشفائه. بعد أن يؤس من حالته الصحية حتى أنه أوصى "ما اقتضاه رأيه واستصوبه". (ابن القلانسي: ذيل، ص350؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص347؛ ابن كثير: البداية، ج12، ص335). وتشير المصادر إلى أنه لم تكن هذه المرة الأولى التي يمرض بها نور الدين. حيث تعرض ولأكثر من مرة خلال حياته للمرض. وفي كل مرة يشفى يفرح المسلمون بذلك. ومن ذلك وفي عام 554هـ/1159م مرض نور الدين مرضاً شديداً أشرف على

الوفاة بسببه وهو في قلعة حلب ثم ما لبث أن تعافى من ذلك. ولعل في خروج المسلمين فرحا بشفاؤه ما يدل على مكانة نور الدين محمود في نفوس المسلمين. (أبو الفداء: المختصر، ج1، ص49).

وفي عام 569هـ/1174م أصابه مرض الوفاة. وكان ذلك بعد أن ختن ولده إسماعيل. وذلك يوم عيد الفطر. حيث كثرت التهاني بهذه المناسبة. وأغلقت المحال في دمشق. (أبو شامة: الروضتين، ج1، ص305). واستمر مرض نور الدين حتى وفاته في 11 من شوال عام 569هـ/حزيران 1174م يوم الثلاثاء. تلك الوفاة التي كانت فاجعة في كل أوساط العالم الإسلامي. (الأصفهاني: البرق، ج1، ص154؛ ابن الأثير: الباهر، ص162. الكامل، ج11، ص403؛ ابن جبير: تذكرة، ص232؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص311؛ ابن العديم: زبدة، ج2، ص342).

جهاده في مملكة بيت المقدس:

كانت مملكة بيت المقدس الصليبية في نظر نور الدين كياناً مصطنعاً على الأرض الإسلامية لا بد من القضاء عليه. كما نظر نور الدين لهذا الكيان باعتباره العدو الأول للمسلمين الذي يمد بقية الإمارات الصليبية بوسائل الدعم والقوة. لقد أدرك نور الدين أهمية موقع منطقة حوران* القريب من دمشق والغنية زراعياً. والهامة تجارياً. ولذلك حرص أن لا تقع هذه المنطقة بيد الصليبيين لما يشكل ذلك من تهديد للشام كلها. (العريني؛ الشرق، ص540؛ ابن موسى: غزوات، ص127؛ عوض: السياسة، ص142؛ الرويضي، إمارة الرها، ص420). وقد وجد الفرصة سانحة له بعد أن استتجد به صهره معين الدين أنر أتاك دمشق. لتأديب الأمير الأرمني الأصل التونتاش غلام أمين الدولة كمشتكين* حاكم بصرى وصرخ باسم معين الدين أنر والمتعاون مع الصليبيين، فاستجاب نور الدين وزحف إلى دمشق. ونجح بالسيطرة على بصرى قاطعاً الطريق على الصليبيين. وملحقاً بهم هزيمة ساحقة. كما نجح بالقبض على التونتاش ومحاسبته. (أبو شامة: الروضتين، ج1، ص181).

* من كور أعمال دمشق من جهة القبلية ذات قرى وبساتين كثيرة. وقصبتها بصرى(باقوت: معجم، ج2، ص315).
* هو أمين الدولة كمشتكين: الأتابكي الطغتكيني واقف المدرسة الأمنية ومتولي صرخد وبصرى تولى الإمارة لطنغتكين على القلعتين إلى أن توفي 541هـ (الذهبي: تاريخ، ج37، ص57).

حقق نور الدين نصره الأول على الصليبيين في حوران مستجيباً لنداء الجهاد والمقاومة. ومنجزاً أولى مراحل جهاده ضد القوى الصليبية في مملكة بيت المقدس. وقد شكلت هذه النجدة سابقة لنجدات جاءت بعدها. حيث عاد معين الدين لطلب النجدة مرة أخرى من نور الدين أثناء الحملة الصليبية الثانية على دمشق عام 543هـ/1145م. فلبى نور الدين النداء مرسلًا إمدادات لمساعدته. (ابن الأثير: الباهر، ص88؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص189؛ ابن واصل: مفرج، ج1، ص112؛ الذهبي: العبر، ج4، ص117. سير، ج20، ص405؛ ابن الوردي: تنمة، ص47؛ ابن العماد شذرات، ج4، ص134؛ الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص759؛ رنسيان: تاريخ الحروب، ج2، ص453؛ بردج: تاريخ الحروب، ص155).

لقد عمل نور الدين على ضرب الوجود الصليبي في بيت المقدس من خلال دعم جبهة دمشق. مدركاً عامل سيطرة الأسرة البورية* على دمشق في تلك الفترة. ومتجنباً تشتيت جهاده شمالاً وجنوباً، حيث كانت عاصمته حلب تقع تحت تهديد إمارة أنطاكية الصليبية، وهذا يبدو واضحاً بعد نجاح نور الدين بضم دمشق. حيث أصبح بإمكانه مواجهة مملكة بيت المقدس بشكل مباشر متوجاً هذه المواجهة عسكرياً في معركة بانياس عام 552هـ/1157م، والتي انتهت بتوقيع هدنة بين الطرفين. (ابن الأثير: الباهر، ص107؛ عوض: السياسة، ص147). غير أن بلدوين الثاني خرق هذه الهدنة بمهاجمته للفلاحين والرعاة المسلمين الذين كانوا يمارسون أعمالهم اليومية. مطمئنين لوجود هدنة مع الصليبيين. وقد أصيب عدد من الفلاحين. واستشهد وأسر عدد آخر ونهبت مواشيهم. فجاؤ رد نور الدين على ذلك بأن نصب كميناً للصليبيين وتعقبهم فوقعوا بين قتيل وأسير. (ابن القلانسي: ذيل، ص399؛ ابن الأثير: الباهر، ص131؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص341). لقد أدرك نور الدين غدر الصليبيين وعدم التزامهم بمواثيقهم مبكراً لذا بقي متيقظاً لهم ومدركاً لنواياهم.

نجح نور الدين في إعادة الاستيلاء على بانياس وفتحها من جديد بعد استيلاء بلدوين الثالث* عليها عام 560هـ/1164م. مستخدماً أساليب قتالية موجهة للصليبيين. كالتخريب الإقتصادي، وحصار الحصون وإسقاطها، وحرمان

* حاكم هذه الأسرة هو جمال الدين محمد بن بوري بن طغتكين جاء بعده ابنه مجير الدين أبق وكان طفلاً صغيراً تحكم به معين الدين أنر الذي كان متغلباً على حكم هذه الأسرة. (ابن الأثير: الباهر، ص88؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص128).
* هو الابن الأول للملك فولك الأنجوي (537هـ/1143م) كان صغيراً حين وفاة والده وتولت أمه وصاية العرش عنه. ورفضت التنازل له بعد أن بلغ السن القانونية فدب النزاع بينهما. فقسمت مملكة بيت المقدس إلى قسمين نتيجة هذا النزاع لكنه نجح في إجبار أمه على التنازل ولم يبق بيدها إلا نابلس وما يتبع لها (الصوري: الأعمال المنجزة، ج2، ص796؛ البيضاوي: نابلس، ص89).

القلاع من مصادر القوة اللازمة لضمودها. ثم نجحت القوات النورية بقيادة أسد الدين شيركوه بإسقاط بارونية صيدا 1158/هـ/553م، وغنم المسلمون منها الكثير. (ابن القلانسي: ذيل، ص352؛ زكي: السيف، ص151).

في عام 1165/هـ/561م نجح نور الدين محمود في توجيه ضربة قوية للملك عموري الأول. حيث فتح حصن مهم فيما وراء نهر الأردن. وعبثاً حاول الملك عموري استرجاع هذا الحصن. كما نجح الجيش النوري في فتح كهف صور في العام نفسه. (ابن القلانسي: ذيل، ص341؛ ابن العديم: زبدة، ج2، ص324).

نور الدين محمود يستخدم سلاح الهدنة في مواجهة مملكة بيت المقدس:

اعتمد نور الدين أسلوباً جديداً في جهاده مع مملكة بيت المقدس. وهو اللجوء لعقد الهدن مع الجانب الصليبي، محققاً بذلك هدفين اثنين. الأول التفرغ للجهاد على الجبهة الشمالية وضرب إمارة أنطاكية.* والثاني ضمان حياد القوى الصليبية على الجبهة الجنوبية حيث مملكة بيت المقدس. ولعل نور الدين كان يدرك خطورة وقوعه بين كفي كماشة للقوى الصليبية شمالاً وجنوباً. ولعل ذلك ما دفعه لاستخدام أسلوب المهادنة مع مملكة بيت المقدس. (ابن القلانسي: ذيل، ص331).

ومن أهم الهدن التي عقدها نور الدين مع مملكة بيت المقدس هدنة عام 1155/هـ/550م لمدة عام. وتم تجديدها في العام اللاحق، على أن ترسل دمشق قطعة للصليبيين قدرها ثمانية آلاف دينار صوري. ثم جددت هذه الهدنة مع استمرار دفع القطيعة. ثم تم تجديدها عامين آخرين عام 1160/هـ/556م. (ابن القلانسي: ذيل، ص336؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص328).

في عام 1160/هـ/556م تعرضت البلاد الشامية إلى الزلازل. وقد عقد نور الدين هدنة مع الملك عموري الأول للتفرغ لإعمار البلاد. ومن الهدن الأخرى التي عقدت مع مملكة بيت المقدس هدنة عام 1172/هـ/568م لمدة ثلاث أشهر. دفع بموجبها أربعة آلاف دينار للجانب الصليبي. (عوض: السياسة، ص157).

* بنيت على يد الإمبراطور جستنيان وتقع في القسم الشمالي الغربي من بلاد الشام ويحيط بها سور عظيم اكتسبت حصانته منه (المقدسي: أحسن التقاسيم، ص154؛ ياقوت: معجم، ج3، ص741؛ العمري: مسالك لإبصار، ص23).

وعلى الرغم من أن وليم الصوري -وهو مؤرخ مملكة بيت المقدس الرسمي- قد نقل أخبار هذين نور الدين مع مملكة بيت المقدس. لكن المصادر الإسلامية لم ترد فيها إشارات حول وقف نور الدين للقتال. وتقديم المال مقابل ذلك. وإن كان أمر المهادنة لا يضير نور الدين في مسالمة أعدائه طلباً لهدف أسمى يتعلق بسلامة دولته والمسلمين. لم يتمكن نور الدين من إسقاط مملكة بيت المقدس رغم جهاده الحثيث في ذلك. ويكفي نور الدين هنا شرف المحاولة. ويكفيه أن جهوده كانت السوابق الممهدة لإسقاط هذه المملكة على يد من سار على نهجه فيما بعد، ومن تربي في مدرسته وتحديداً على يد صلاح الدين عام 583هـ/1187. (سمايل: الحروب، ص 72).

لقد نجح نور الدين في فتح أكثر من خمسين حصناً صليبياً خلال فترة حكمه. وخاض حروباً شمالاً مع إمارة إنطاكية وجنوباً مع مملكة بيت المقدس في آن واحد. ونجح في توحيد القوى الإسلامية في جبهة واحدة. فحصر مملكة بيت المقدس في نطاق ساحلي ضيق. ويضاف هذا إلى الإنجازات الداخلية التي نجح في تحقيقها داخل دولته. (ابن خلكان: وفيات، ج4، ص270؛ العماد: شذرات، ج4، ص530).

جهاد نور الدين على جبهة الإمارات الصليبية:

أولاً: جهاده على جبهة إمارة الرها:

مثلت الإمارات الصليبية الرها وإنطاكية وطرابلس* تهديداً حقيقياً لحدود الدولة النورية. وقد نظر نور الدين لهذه الإمارات باعتبارها تمثل وجوداً غير شرعي على الأراضي الإسلامية. فعزم على حماية حدود دولته. وتصفية هذه الإمارات الواحدة تلو الأخرى، حيث بدأ بإمارة الرها. والتي عزز السيادة الإسلامية عليها بعد أن فتحها والده عام 539هـ/1143م. (ابن القلانسي: ذيل، ص279؛ ابن الأثير: الباهر، ص66؛ الجنزوري: إمارة الرها، ص317؛ مؤلف سرياني رهاوي (زكار)، ج2، ص508).

بذل جوسلين الثاني جهوداً مضمّنة لإعادة احتلال الرها لما تتمتع به من موقع استراتيجي. وقد سئحت له الفرصة في أعقاب استشهاد عماد الدين زنكي. وبمساعدة العناصر المحلية من سكانها من الأرمن. الذين فتحو أبواب المدينة

* طرابلس: هي إحدى المدن الساحلية الواقعة على ساحل البحر المتوسط واسمها يعني المدينة المثلثة وقد شككت إحدى الإمارات الصليبية التي أقامها الصليبيون في المشرق الإسلامي (ياقوت: معجم، ج4، ص25؛ ابن شداد: الأعلاف، ق2، ج2، ص102).

للقوات الصليبية التي نجحت في دخول الإمارة دون قلعها. وهنا لا بد من الإشارة إلى الدور الذي أداه الأرمن في التآمر على الوجود الإسلامي في الرها رغم سياسة التسامح التي انتهجها معهم المسلمون.

ولما وصلت أخبار هذه التطورات في الرها إلى نور الدين هب لنجبتها وإنقاذها وما أن وصلت طلائع قواته حتى فر جوسلين فتعقبه الجيش النوري وأصابه بجروح. (سبط بن الجوزي: ذيل، ج8، ق1، ص190؛ ابن العديم: زبدة، ج2، ص290؛ ابن خلدون: العبر، ج5، ص238؛ النويري: نهاية، ج27، ص150).

نجح نور الدين في إعادة السيطرة الإسلامية على الإمارة مرة أخرى. وعاقب أهلها على خيانتهم. وتعاونهم مع القوى الصليبية، لكن جوسلين لم يستسلم بل جهز جيشاً وطفق عائداً للمدينة. وقد نجح في إلحاق هزيمة بالجيش النوري وأسر عدداً من قاداته وذلك عام 554هـ/1150م. (ابن العبري: تاريخ، ص217؛ ابن واصل: مفرج، ج1، ص123؛ النويري: نهاية، ج27، ص157). من الواضح أنّ معظم سكان إمارة الرها كان من الأرمن ولهذا كان لهم دور واضح في الأحداث.

وأمام هذه التطورات السياسية والعسكرية أدرك نور الدين مدى الخطر الذي يشكله جوسلين الثاني على دولته. فنصب له كميناً بعد أن أخضعه للمراقبة حتى وقع أسيراً بيد القوات النورية. حيث سجن وسملت عيناه. وبقي حتى توفي بعد تسعة أعوام من ذلك عام 554هـ/1159م. (الأصفهاني: تاريخ، ص207؛ ابن الأثير: الكامل، ج8، ص63؛ الاسدي: الكواكب، ص137). لقد توج نور الدين جهاده على جبهة بيت المقدس بالقبض على جوسلين وتصفيته وتحييد دوره.

لقد كان لأسر جوسلين الثاني أثراً إيجابياً على العالم الإسلامي. حيث سقطت جميع أملاكه بقبضة الجيش النوري خلال الفترة الممتدة من 545هـ/1150م إلى 550هـ/1155م. فنجح نور الدين بالحفاظ على منجزات والده. وحسم صراعه مع أسرة جوسلين وفتح ممتلكاتها. (الأصفهاني: تاريخ، ص207؛ ابن العبري: تاريخ، ص208؛ ابن الوردي: تنمة، ص50؛ ابن واصل: مفرج، ج1، ص124؛ سبط بن الجوزي: مرآة، ج8، ق1، ص200؛ الصوري: الأعمال المنجزة، ج3، ص343).

ثانياً: جهاده على جبهة إمارة إنطاكية:

شكل بسط سيطرة الدولة النورية على إمارة الرها خطراً جسيماً على إمارة إنطاكية وأميرها ريموند دي يواتيه(531-544هـ/1136-1146م). الذي بادر بالمطالبة بتوجيه الحملة الصليبية الثانية إلى حلب عاصمة نور الدين محمود. بدلاً من دمشق. والعزم على مهاجمتها غير أن الحملة الصليبية الثانية مضت في وجهتها وترك ريموند إلى مصيره أمام نور الدين. (مؤنس: نور الدين، ص210؛ العريني: الشرق، ص 625؛ عوض: السياسة، ص170). ولعل عدم الاستجابة لنداءات ريموند يكشف مدى الإنقسام الذي أصاب الجانب الصليبي حول الحملة الصليبية الثانية ووجهتها.

استهل نور الدين جهاده مع إمارة إنطاكية بمعركة يغري* 543هـ/1148م. حيث كانت هذه المعركة أولى صور المواجهة بين القوات النورية والقوى الصليبية في إمارة إنطاكية. وفيها انتصر نور الدين وفتح حصني حارم وأرتاح*. (ابن واصل: مفرج، ج1، ص114؛ ابن الوردي: تنمة، ج1، ص 48؛ عطية: إمارة، ص238).

أعقب انتصار نور الدين في يغري انتصاراً آخر في معركة أنب* في صفر من عام 544هـ/1149. وفيها قتل أمير إنطاكية ريموند دي يواتيه وهو أحد عتاة الفرنج. وذوي التقدم فيهم مع عدد من مساعديه. (ابن واصل: مفرج، ج1، ص120؛ بردج: الحروب، ص159). وجاءت انتصارات نور الدين هذه في مرحلة مبكرة من حكمه. مما أكسبه سمعة ومكانة بارزة في العالم الإسلامي، فعزم على إضعاف إنطاكية والقضاء عليها. (عوض: السياسة، ص172).

شكل مقتل أمير إنطاكية ريموند صدمة في الجانب الصليبي، فحلت الفوضى فيها وانتشر الهلع بين سكانها، وأصبح الطريق مفتوحاً أمام نور الدين لبسط سيطرته عليها. خاصة بعد نجاحه بفتح عدد من الحصون التي تتبع إمارة إنطاكية وتوجت انتصاراته هذه بالسيطرة على ميناء السويدية الاستراتيجية. (عطية: إمارة، ص235؛ العريني: الشرق، ص276؛ عاشور: الحركة، ج2، ص639). إضافة لفتح أهم حصون هذه الإمارة وهو حصن أفامية* 544هـ/1149م،

* يغري: بلدة تقع إلى الشمال من إنطاكية وتقع على نهر يغري الذي يصب في بحيرة إنطاكية أو بحيرة بغراس (ياقوت: معجم، ج2، ص224؛ ابن العديم: زبدة، ج1، ص409).

* حارم: حصن حصين يقع ضمن حدود إمارة إنطاكية. أما ارتاح فهي مدينة من أعمال حلب (ياقوت: معجم، ج2، ص205؛ عاشور: الحركة، ج2، ص639).

* أنب: حصن من أعمال أعزاز من نواحي حلب (ياقوت: معجم، ج1، ص258).

* أفامية: مدينة حصينة على سواحل الشام وهي من نواحي حمص (ياقوت: معجم، ج1، ص225).

واستمراراً للجهاد ضد إمارة إنطاكية أخذ نور الدين يخطط لأسر أميرها الجديد أرناط. الذي تولى حكمها 548هـ/1153م. حيث نجحت القوات النورية بالقبض عليه وإيداعه السجن. (ابن الأثير: الباهر، ص125: الكامل، ج9، ص469؛ الذهبي: سير، ج20، ص533). وهكذا توج نور الدين جهاده على جبهة إنطاكية بتصفية أميرها وبسط نفوذ عليها.

ثالثاً: جهاده على جبهة إمارة طرابلس:

اضطرب الصليبيون نتيجة الانتصارات التي حققها نور الدين على جبهة إنطاكية فقرروا التحالف مع البيزنطيين والأرمن في الشام لقطع الطريق على القوات النورية. ومنعها من إحراز أي تقدم خاصة بعد أن أصبحت هذه القوات على أبواب إمارة إنطاكية، فاتقت الأطراف المتحالفة على مواجهة نور الدين ومباغته قواته عند حارم، ونشبت معركة بين الطرفين انتصر فيها نور الدين مدعوماً من حاكم إربل زين الدين كوجك وصاحب منيج سيف الدين وحاكم سنجار. وقد بلغت القوات النورية في تلك المعركة قرابة الثلاثين ألف مقاتل. اشتركت معها قوات الدعم من نصرة الدين أميران وقطب الدين. (ابن الأثير: الباهر، ص125. الكامل، ج9، ص469؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص33؛ ابن كثير: البداية، ج12، ص234).

تعتبر هذه المعركة من المعارك الفاصلة بين نور الدين والقوى الصليبية ومن تحالف معهم، وعلى أثرها سقطت حارم وقتل أكثر من عشرة آلاف من الصليبيين وأسرت ستة آلاف منهم، وعلى إثر هذه المواجهة فرضت الدولة النورية سيطرتها على بانياس وغنم الكثير من الغنائم. (البنداري: سنا البرق، ص19؛ ابن واصل: مفرج، ج1، ص145؛ سبط بن الجوزي: مرآة، ج8، ق1، ص247؛ الحريري: الإعلام، ص78). وتتاغمت العمليات العسكرية بين نور الدين في حلب وبين صلاح الدين في مصر في ظل مهاجمة الملك عموري الأول لمصر وضغطه على قوات صلاح الدين فيها، حيث أثمر هذا التناغم من خلال إجبار عموري للعودة للدفاع عن إنطاكية وفك حصاره عن مصر. (ابن الأثير: الباهر، ص125؛ ابن العديم: زبدة، ج2، ص320).

ولابد من الإشارة هنا أن القوات النورية قد منيت بهزيمة أمام القوى الصليبية في جهادها على جبهة إمارة طرابلس. فيما عرف بموقعة البقيعة وذلك عام 558هـ/1162م. (ابن الأثير: الكامل، ج9، ص467؛ ابن واصل: مفرج، ج1، ص135؛ ابن العديم: زبدة، ج، ص312). لكن اصرار نور الدين دفعه إلى مهاجمة الحصون والقلاع المحيطة بإمارة

طرابلس ونجح بفتح عدد منها مثل حصن المنيطرة، وصافينا، والعريمة، وباسوطا، وهاب. وذلك ضمن المواجهة بين الطرفين فيما عرف بموقعة اللبوة عام 565هـ/1169م. وبعد عامين من هذه المواجهة نجح نور الدين بفتح حصن عرقة. وهو من الحصون الهامة في إمارة طرابلس. (ابن الأثير: الباهر، ص154؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص225؛ ابن العديم: زبدة، ج2، ص336).

وعموماً ورغم العمليات الجهادية المستمرة لنور الدين على جبهات الإمارات الصليبية سابقة الذكر. إلا أنه لم يتمكن من إسقاط إمارتي إنطاكية وطرابلس. واكتفى بالحفاظ على منجز والده فيما يتعلق بإمارة الرها. لكن ذلك لا يقلل من قيمة إنجازاته في مملكة بيت المقدس وإخضاعه للعديد من الحصون والقلاع على جبهتي طرابلس وإنطاكية. ويمكن القول إن جهوده هي التي مهدت لصلاح الدين لمواصلة الجهاد تجاه هاتين الإمارتين فيما بعد.

جهود نور الدين محمود في توحيد الجبهة الإسلامية:

حرص نور الدين محمود على ترتيب البيت الإسلامي من خلال توحيد القوى الإسلامية في جبهة واحدة. خاصة وأن هذه القوى في فترة الصراع الإسلامي الصليبي مثلت كيانات متناثرة متناحرة فيما بينها. حيث كانت الخلافة العباسية السنية في بغداد، والخلافة العبيدية الفاطمية الشيعية في مصر، إضافة لبقايا نظام الأتابكيات في دمشق والموصل، والكيانات السياسية التي مثلتها بعض الأسر المستقلة عن الخلافة العباسية فيما عرف بعصر الدويلات. وقد سيطرت هذه القوى على مساحات شاسعة من العالم الإسلامي وتحكمت بالكثير من موارده الاقتصادية. (عوض: السياسة، ص1109).

لقد أدرك نور الدين مبكراً أهمية توحيد هذه القوى في جبهة إسلامية واحدة. تكون قادرة على الوقوف في وجه المد الصليبي. وتسخير إمكانيات هذه الكيانات والقوى الاقتصادية والسياسية لتحقيق هدف واحد وهو القضاء على الخطر الصليبي تجاه المشرق الإسلامي. (ابن القلانسي: ذيل، ص142؛ الإدريسي: نزهة، ج4، ص367).

ويمكن القول إن هناك مجموعة أهداف دفعت نور الدين لترتيب البيت الإسلامي. وأول هذه الأهداف هو رغبته في إيجاد جبهة إسلامية موحدة قادرة على الوقوف في وجه المد الصليبي. وقد شجع نور الدين على ذلك مدى الضعف الذي كان يعصف بالكيانات والقوى الإسلامية المفككة والمتناحرة فيما بينها. حيث كان نور الدين يؤمن أن وحدة العالم الإسلامي هي السبيل للخلاص من عدوه المشترك. ومن العوامل الأخرى رغبة نور الدين بالسيطرة على طرق التجارة التي تربط الشام

بالعراق. وإحكام السيطرة على مراكز الصناعة في المدن الكبرى ومراكز التكتل البشري. كالموصل ودمشق ومصر الغنية بالمواد الخام والقوى البشرية اللازمة لبناء وتمويل جيش إسلامي قوي، قادر على تحقيق الهدف الأسمى لنور الدين محمود. (ابن القلانسي: ذيل، ص142؛ ابن العديم: زبدة، ج2، ص341).

بدأ نور الدين جهوده في هذا المجال بترتيب البيت الزنكي. حيث اعتمد الحل الدبلوماسي بينه وبين أخيه سيف الدين غازي الذي ورث حكم الموصل بعد وفاة أبيه عماد الدين زنكي. حيث تم عقد اتفاق دبلوماسي مؤقت بين الأخوين سمي اتفاق الخابور. نص على أن يكون نهر الخابور الحد الفاصل بين ممتلكات سيف الدين غازي في الموصل وممتلكات نور الدين محمود في حلب. (ابن واصل: مفرج، ج1، ص111؛ سبط بن الجوزي: مرآة، ج1، ق1، ص192؛ النويري: نهاية، ج27، ص150؛ الجميلي: دولة، ص71؛ عاشور: جهاد، ص208).

لقد جاء هذا الاتفاق بعد عبور نور الدين وقواته إلى إمارة الرها، التي كانت من ضمن ممتلكات أخيه سيف الدين غازي لتأديب جوسلين الثاني على محاولاته لاستعادة الإمارة 542هـ/1147م. وقد نجح نور الدين ببسط سيطرته على المناطق المحيطة بالإمارة دون ممانعة من أخيه. وبقي اتفاق الخابور نافذاً حتى وفاة سيف الدين غازي. تعاون خلاله الأخوين على صد المد الصليبي نحو دمشق خلال الحملة الصليبية الثانية 543هـ/1148م. (سبط بن الجوزي: مرآة، ج1، ق8، ص190؛ ابن العديم: زبدة، ج2، ص290؛ ابن خلدون: العبر، ج5، ص238).

توفي سيف الدين غازي 544هـ/1169م. وخلفه على حكم الموصل وعلى أملاكه أخيه قطب الدين مودود (544-566هـ/1149-1169م). فهاجم نور الدين سنجار وسط رفض من مودود. وجرى تفاوض بينهما أسفر عن اتفاق الطرفين على تنازل نور الدين عن سنجار مقابل الحصول على حمص. (الأصفهاني: تاريخ، ص207؛ ابن خلكان: وفيات، ج3، ص177؛ ابن واصل: مفرج، ج1، ص116؛ الاسدي: الكواكب، ص130).

في أعقاب هذا الاتفاق حرص نور الدين على السعي نحو وحدة البيت الداخلي الزنكي. وبعد مرض نور الدين أوصى أن يكون أخيه مودود وريثه على أملاكه. حرصاً على توحيد الجهود في مواجهة المد الصليبي. وقد شهدت العلاقات بين مودود ونور الدين فترة من التقارب والود قدم فيها مودود دعماً عسكرياً سخياً للقوات النورية حتى وفاته 565هـ/1169م. (ابن العبري: تاريخ، ص207؛ ابن واصل: مفرج، ج1، ص119). وقد عانت الموصل من أوضاع

سيئة في أعقاب وفاة مودود. بسبب ضعف حاكمها الجديد سيف الدين غازي بن مودود (564-572هـ/1168-1176م). وقد وجد نور الدين محمود فرصته في ضم الموصل على إثر مؤامرة فخر الدين بن عبد المسيح على الحكم واستبداده مستغلاً ضعف سيف الدين. فعبر نور الدين إلى الموصل ودخل قلعة جعبر 566هـ/1170م. محققاً بذلك أهم انتصاراته السياسية والعسكرية. ومؤكداً على حسم مسألة الحكم في الموصل، وملبياً للنداء الشعبي فيها، وهكذا كانت الموصل هي أولى محطات نور الدين في توحيد الجبهة الإسلامية. (سبط بن الجوزي: مرآة، ج8، ق1؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج5، ص383).

أما على جبهة دمشق فقد تمثلت جهود نور الدين في ضمها للجبهة الإسلامية. منطلقاً من أهمية دمشق الزراعية والصناعية والتجارية وتأثيرها على قوته ونفوذه في عاصمته حلب، خاصة وأن دمشق تمثل امتداداً للطرق التجارية المارة بحلب والقادمة من مصر. إضافة لكونها خط الدفاع الأول عن بلاد الشام بالنظر إلى قرب مراكز نفوذ الصليبيين منها. الأمر الذي صمم معه نور الدين على ضرورة ضم دمشق ضمن الجبهة الإسلامية الموحدة. ولعل تحالف الأسرة البورية الحاكمة في دمشق مع القوى الصليبية هو ما كان يقلق نور الدين. ويشكل عائقاً أمامه. (عوض: السياسة، ص110).

لقد عمل نور الدين على إيجاد مبررات واقعية للتدخل في دمشق. تمهيداً لضمها عسكرياً ومن هذه المبررات استخدام الزواج السياسي. حيث صاهر أقوى شخصيات دمشق خاطباً يد ابنة معين الدين أنر 541هـ/1146م. ثم استخدام مبرر عجز الأسرة البورية عن حماية الفلاحين من اعتداءات الصليبيين عليهم في حوران. (ابن القلانسي: ذيل، ص289؛ ابن عساكر: تاريخ، ج54، ص104؛ ابن كثير: البداية، ج12، ص290).

حاول نور الدين جس نبض الأسرة البورية حول إمكانية تقديم مساعدة له حال تحركه صوب دمشق. لكن الحاكم البوري مجير الدين أبق(544هـ/1149م) رفض ذلك خوفاً على نفوذ أتاكيتته. فعبر نور الدين بقواته إلى دمشق مرسلًا رسالة إلى مجير الدين يخبره أنّ سبب قدومه هو سوء أوضاع الفلاحين في حوران جراء الإعتداءات الصليبية عليهم. وجراء ذلك عقد اتفاق بين نور الدين والأسرة البورية. قدمت فيه هذه الأسرة تنازلات لنور الدين منعاً لقدمه إلى دمشق. من هذه التنازلات الدعاء له في خطبة الجمعة. ووضع اسمه على السكة والإدانة له بالطاعة. فكان ذلك اعترافاً

ضمنياً بسلطة الدولة النورية. وخطوة هامة نحو ضم دمشق للجبهة الإسلامية التي ينشدها نور الدين. (ابن القلانسي: ذيل، ص308؛ الذهبي: تاريخ، ج37، ص24).

لقد كان هدف نور الدين ضم دمشق. لذا لم يركن لنوايا مجير الدين أبق. فعاود الضغط على دمشق فساءت أوضاعها وتردت أحوال الفلاحين في حوران. وانتشر السلب والنهب. فأوفد نور الدين إلى دمشق عدداً من الشخصيات للتوصل إلى اتفاق جديد مع الأسرة البورية، يهدف إلى إيقاف العمليات العسكرية على جبهة دمشق. ولعل انشغال نور الدين بالقتال على جبهة إنطاكية هو ما دفعه لطلب عقد هذا الاتفاق. وقد أعقب هذا الطلب زيارة مجير الدين أبق إلى حلب. لكن هذه الزيارة لم تشفع له عند نور لدين. حيث اعتمد نور الدين أساليب جديدة لضم دمشق. قامت على حصارها ومنع الغلال عنها. فغلت الأسعار وتذمر الناس. كما اتبع سياسة بث الفرقة بين مجير الدين وأتباعه. حتى دخل الشك لقلب مجير الدين فصادر أملاك وإقطاعات أتباعه. فدبت الفرقة والخلافات بينهم واتهمهم ببناء علاقات مع نور الدين. (ابن تغري بردي: النجوم، ج5، ص318؛ القزويني: أخبار، ص279؛ خليل: عماد الدين، ص32).

لقد نجح نور الدين في إثارة الدمشقيين على حكم الأسرة البورية. واتصل بالأمراء الحانقين على حكم مجير الدين، وتحت وطأة حصاره لدمشق تقدم بقواته قاصداً دخول دمشق حيث دخلها وأسقطها 549هـ/1154م. ولعل دخولها وإسقاط حكم البوريين فيها كان من أهم الإنجازات على طريق وحدة الجبهة الإسلامية، ونقطة تحول هامة في جهاد الدولة النورية وفي تاريخ الحروب الصليبية بشكل عام. (ابن عساكر: تاريخ، ج7، ص299؛ سبط بن الجوزي: مرآة، ج8، ق1، ص221؛ ابن الشحنة: روضة، ص234؛ الصفدي: الوافي، ج6، ص188).

وبضم دمشق أصبحت بلاد الشام والجزيرة الفراتية وحدة واحدة تحت حكم حاكم واحد وتواجه عدواً واحداً، كما شكل ضم دمشق ضربة لمملكة بيت المقدس التي فقدت حليفاً لها، فشعر الصليبيون بمدى الخطر المحدق بهم، كما أنّ ضم دمشق فتح الطريق أمام نور الدين للقاهرة التي كان يسعى الصليبيون لضمها لإحكام سيطرتهم على المشرق الإسلامي من خلال تعاونهم مع الفاطميين هناك. (عوض: السياسة، ص115؛ عاشور: الحركة، ج2، ص666).

أما فيما يتعلق بمصر فقد تردت أوضاعها وساءت أحوالها الداخلية خلال فترة سلطنة نور الدين على الشام. حيث اعتلى عرش مصر في تلك الفترة الخليفة الفاطمي الظافر بالله (544-549هـ/1149-1154م). الذي كان ألعبوبة بيد

وزيره عباس بن أبي الفتح الصنهاجي. الذي تأمر على قتل الخليفة بالتعاون مع ابنه نصر، والذي أدى دوراً في ولاية ابنه الفائز بنصر الله وهو لم يزل طفلاً لا يتجاوز الخمس سنوات من عمره. مستغلاً ذلك لإحكام قبضته على السلطة في مصر. لكن ظهور شخصية طلائع ابن رزيك على مسرح الأحداث وقف عائناً أمام طموح الصنهاجي ومخططاته. حيث عزم ابن رزيك على فضح عباس وابنه والأخذ بثأر من قتلهم في مجزرة القصر الفاطمي. ففر عباس مع ابنه ووقع بيد الصليبيين الذين قتلوهم وسلبو ما بحوزتهما من أموال وعتاد. فانتهت بذلك وزارة الصنهاجي. وتولى مكانه ابن رزيك ليصبح هو صاحب الأمر في مصر الفاطمية. ولعل هذه التطورات تكشف مدى التآحر والتآمر بهدف الوصول للسلطة ومدى ما كان يواجهه نور الدين من دسائس ومؤامرات. (ابن الأثير: الكامل، ج11، ص192؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص312؛ المقرئزي: الاعتاض، ج3، ص209؛ سرور: الدولة، ص112).

وفي ظل هذه الأوضاع في مصر مرت علاقات نور الدين بالفاطميين بعدة مراحل، تمثلت المرحلة الأولى بالتعاون العسكري بين الطرفين وذلك في عهد الوزير الفاطمي سني المذهب العادل بن السلار (546هـ/1151م). أي قبل ضم دمشق. حيث جرى تعاون فاطمي نوري شكل فيه ابن منقذ حلقة الوصل بينهما. غير أن هذا التعاون تجمد بسبب اعتذار نور الدين عن إتمامه لأنشعاله بضم دمشق. ولعل استجابته للتعاون في البداية كانت استجابة لطلب الوزير السلار. وليس لأجل الخليفة الفاطمي. (المقرئزي: اعتاض، ج3، ص22؛ ابن ميسر: أخبار، ج2، ص915). أما المرحلة الثانية من العلاقات بين نور الدين والجانب الفاطمي فتمثلت بالمراسلات الدبلوماسية بينهما والتي بدأت عام 552هـ/1157م. حيث أرسل نور الدين سفارة لمصر، وكرر إرسالها في رمضان في العام التالي 553هـ/1158م. وجاء الرد الفاطمي على هذه السفارات باستقبال السفراء بحفاوة بالغة، وإعادتهم محملين بالهدايا. ثم تكررت سفارة أخرى من نور الدين 554هـ/1159. وذلك في عهد الخليفة العاضد الذي ردها بالخلع على نور الدين. ابن القلانسي: ذيل، ص353؛ ابن ميسر: أخبار، ج2، ص98؛ المقرئزي: اعتاض، ج3، ص230).

والى جانب ما سبق قدم الفاطميون دعماً مالياً وافرأ مما يملكونه في مصر لنور الدين، ولعل تفسير ذلك يكمن في أن الفاطميين وجدوا في نور الدين قوة حقيقية يمكن الاعتماد عليها في وجه الصليبيين. وأنه من الممكن تلميع صورتهم

السيئة أمام العالم الإسلامي بالتحالف معه. سيما وأن الخطر الصليبي بات يطرق أبواب مصر بعد أن أسقط عسقلان 543هـ/1153م. (المقريزي: اتعاظ، ج3، ص260).

وقد اتضحت معالم هذا الخطر بوصول الملك عموري لعرش المملكة الصليبية في القدس. وأمام ذلك تعهد ابن رزيك بدفع إتاوة سنوية بمقدار مئة وستين ألف دينار، لكنه اغتيل قبل أن تدفع للجانب الصليبي. ثم تولى الوزارة للخليفة العاضد شاوور بن مجير السعدي وفي عهده تصدى ضرغام قائد الجيش الفاطمي لهجوم الملك عموري على مصر 558هـ/1163م، ونجح في صدّه. وبعد هذا النجاح قرر ضرغام التخلص من الوزير شاوور السعدي، فخرج عليه وعزله 558هـ/1158م. فلجأ السعدي إلى نور الدين وشجعه على مهاجمة مصر وإعادته للوزارة مقابل إتاوة يقدمها له، إضافة إلى ثلث دخل مصر وأن يحكم باسمه مع السماح لترك حامية من القوات النورية فيها. (ابن الأثير: الباهر، ص120). وبالفعل وجد نور الدين فرصته في هذا العرض خاصة وأنه كان حريصاً على ضم مصر، وتقويض الحكم القائم فيها، واستغلال موقعها وخيراتها لخدمة أهداف جهاده ضد خصومه من الصليبيين. فتقدم جيش نور الدين وعلى رأسه أسد الدين شيركوه، وصحبه في هذا الجيش ابن أخيه صلاح الدين يوسف. (أبو شامة: الروضتين، ج1، ص393). سالكين إلى مصر طريق شرق الشوبك ثم آيلة باتجاه السويس. (ابن واصل: مفرج، ج1، ص138؛ المقريزي: اتعاظ، ج3، ص266). في حين هاجم نور الدين بعض المواقع الصليبية لتأمين مرور قواته إلى مصر. فوصلت القوات النورية مدينة بلبيس (ابن الأثير: الكامل، ج11، ص121؛ ابن واصل: مفرج، ص138؛ الأسدي: الكواكب، ص166؛ المقريزي: اتعاظ، ج3، ص226) واصطدمت بقوات ضرغام وألحقت بها هزيمة ساحقة، وقتل ضرغام نفسه وتفرقت قواته 559هـ/1164م (ابن العبري: تاريخ، ص368؛ المقريزي: اتعاظ، ج3، ص267). ونجح نور الدين في إعادة شاوور السعدي لوزارة العاضد مرة ثانية، وتلقب السعدي بلقب الملك المنصور (ابن شداد: النوادر، ص36). لكنه تنكر لمعروف نور الدين والدولة النورية، ورفض تنفيذ ما وعد به، بل طالب شيركوه بالخروج مع قواته من مصر (ابن العبري: تاريخ، ج1، ص368) وتحالف مع الصليبيين لإخراج القوات النورية من مصر من خلال اتصاله بالملك عموري. طالباً نجدته لإخراج نور الدين من مصر، ومتكفلاً بنفقات الحملة الصليبية (البنداري: سنا البرق، ص19)، وبالفعل وصلت القوات الصليبية إلى بلبيس، وفرضت حصاراً على القوات النورية استمر ثلاثة أشهر في أرجح الروايات، انتهى بخروج شيركوه

وقواته ودفعه تعويضا مقداره ثلاثين ألف دينار عن حملته على مصر. (ابن تغري بردي: النجوم، ج1، ص347) وأمام تطورات هذه الأحداث أقنع أسد الدين شيركوه سيده نور الدين بضرورة العودة إلى مصر لتأديب الوزير شاور السعدي. وكان أسد الدين قد إطلع على أحوال مصر ومواطن ضعف السلطة فيها، ومدى ثرائها أثناء إقامته فيها؛ لأن نور الدين كان حريصاً على ضم مصر للجبهة الإسلامية فقد وافق على اقتراح قائده أسد الدين شيركوه، وجهاز له حملة جديدة وضعه على رأسها ورافقه فيها صلاح الدين الأيوبي. وعرفت هذه الحملة بالحملة النورية الثانية. فسارت إلى أن بلغت مصر ونزلت الجيزة مسيطرة على كل ما في طريقها دون مقاومة تذكر. (ابن العديم: زبدة، ج2، ص323؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص364). فأدرك شاور خطورة الموقف فعاد لطلب نجدة الصليبيين الذين قدموا لنجده فاصطدموا بالقوات النورية عند البابين، وأسفرت المواجهة عن هزيمة ساحقة في صفوف الصليبيين. ثم توجهت القوات النورية نحو الفيوم ثم الإسكندرية ونجحت في السيطرة عليهما. ثم عمد شيركوه إلى الصعيد وجنى خراجه بعد إن ترك صلاح الدين على ولاية الإسكندرية. وقد استغل الصليبيون خروج شيركوه للصعيد فعادوا وفرضوا حصاراً على صلاح الدين في الإسكندرية انتهى بخروج القوات الصليبية والنورية من مصر مقابل عدم بقاء أي قاعدة للصليبيين في مصر، وحصول شيركوه على خمسين ألف دينار مقابل انسحابه. لكن شاور لم يف بما يتعلق بالقواعد الصليبية. حيث بقيت هذه القواعد على مدخل القاهرة بمجرد انسحاب القوات النورية. (ابن الأثير: الكامل، ج11، ص132؛ ابن العديم: زبدة، ج2، ص123؛ ابن خلكان: وفيات، ج6، ص14؛ ابن واصل: مفرج، ج1، ص5؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج5، ص349).

أمام هذا الإصرار من نور الدين في إرسال الحملة تلو الأخرى على مصر، أدرك شاور السعدي عزم نور الدين على ضم مصر لدولته، وقد وجد نور الدين فرصته في إرسال حملته الثالثة على مصر في أعقاب مهاجمة الصليبيين لمصر 564هـ/1168م. وارتكابهم لمجزرة في بلبس كشفت عن الوجه القبيح للصليبيين، ونزعتهم الإجرامية تلك النزعة التي دفعت شاور السعدي أن يستفيق من غفلته ويعرف حقيقتهم. فقام بتحسين القاهرة وأخلى الفسطاط وحرقتها حتى لا يستفيد منها صليبيو بيت المقدس. وقد دفعت هذه الأحداث لأن يستجد الخليفة الفاطمي بنور الدين لإنقاذ الموقف، حيث أخذ يستنهضه ويستثير فيه النخوة الإسلامية، حتى استجاب نور الدين لنداءات الخليفة الفاطمي، فأوعز لقائده أسد الدين شيركوه للخروج على رأس حملة جديدة عرفت بالحملة النورية الثالثة، وبمجرد وصول القوات النورية لمصر انسحبت القوى

الصليبية منها بعد أن حصلوا على ضمانات مالية قدمها لهم شاور. (ابن الأثير: الباهر، ص138. الكامل، ج11، ص111؛ ابن العديم: زبدة، ج2، ص326؛ ابن واصل: مفرج، ج1، ص157؛ المقرئ: اتعاظ، ج3، ص293).

قبض شيركوه على شاور السعدي لمحاسبته على خياناته المتكررة، ونفذ فيه حكم القتل على يد صلاح الدين 564هـ/1169م. ورداً للجميل قلد الخليفة الفاطمي العاضد أسد الدين شيركوه الوزارة في مصر خلفاً لشاور السعدي. وبقي شيركوه في منصبه حتى وفاته حيث خلفه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، الذي شكل مع أستاذه نور الدين ثنائياً فريداً في الوقوف في وجه الحملة الصليبية على دمايط 565هـ/1170م، وحملوا مشروعاً إسلامياً يقوم على تقويض المشروع الصليبي الرامي لإحتلال مصر. وبهذا النصر تعزز الوجود النوري في مصر الذي استكماله فعلياً صلاح الدين الأيوبي فيما بعد. (ابن شداد: النوادر، ص4)

وبالسيطرة على مصر حسم نور الدين قضية طالما شكلت له مصدر قلق. وهي ضرورة ضمها للجبهة الإسلامية لما تحويه مصر من ثروات وموارد وقوى بشرية لازمة للمشروع النوري.

الخاتمة والنتائج:

- أدت طريقة تربية ونشأة نور الدين محمود دوراً في ظهوره كقائد إسلامي كان له حضور على الساحة الإسلامية.
- وظف نور الدين محمود قدراته وخبراته السياسية والعسكرية في إيجاد جبهة إسلامية موحدة. شملت الموصل ودمشق ومصر وشكلت القاعدة التي تصدت لكل القوى المعادية للعالم الإسلامي ووقفت سداً منيعاً أمام أطماع هذه القوى ومشاريعها في المنطقة.
- أدرك نور الدين محمود أن سبيل الخلاص للعالم الإسلامي يكمن في تماسكه ووحدته. ولذلك عمل على تحقيق هذه الوحدة بالقوة تارة وبالهدنة والصلح تارة أخرى.
- اتقن نور الدين محمود فن التعامل مع القوى الصليبية ومن تحالف معها. فعرف متى يدخل مع هذه القوى في مواجهات. وكيف يضرب هذه القوى بأحلافها ومتى يهادنها.

- تعامل نور الدين محمود مع الإمارات الصليبية التي أقيمت في المشرق الإسلامي كل على حدة. وأتقن طريقة ضرب هذه الإمارات الواحدة تلو الأخرى. معتمدا لتحقيق ذلك على قادة ورجال دولة من أهل الكفاءة والورع والحزم أمثال شيركوه وصلاح الدين.
- تبنى نور الدين محمود مشروعا نهضويا إسلاميا هدفه تطهير المشرق الإسلامي من الوجود الصليبي. وقد عمل على تحقيق هذا المشروع بكل ما أوتي من قوة. مستخدما الوسائل السلمية والعسكرية في سبيل ذلك.
- تميز موقف نور الدين محمود من الوجود الصليبي بالحزم في مواجهة هذا الوجود، فوقف في وجه هذا المد بكل قوة. حتى شكلت التجربة النورية في ذلك قاعدة وسابقة استند عليها كل من جاء بعد نور الدين من قادة العالم الإسلامي، ممن اتخذوا هذه التجربة أنموذجا يحتذى به في مواجهة قوى العدوان.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر باللغة العربية:

- 1- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري الملقب بعز الدين (ت630هـ/1232م).
- "الكامل في التاريخ"، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.
- "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل"، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، ط2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1995.
- 2- الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت650هـ/1164م).
- "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م.
- 3- ابن إياس: محمد بن أحمد (ت930هـ/1524م).
- "بدائع الزهور في وقائع الدهور"، تحقيق، محمد مصطفى، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982.
- 4- البنداري: الفتح بن علي بن محمد (ت622هـ/1225م)
- "سنا البرق الشامي"، مختصرا البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تحقيق، فتحية النبراوي، انجي، القاهرة، 1997م.
- 5- ابن تغري بردي: أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت874هـ/1469م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، د.ت.
- 6- بن جبير: محمد بن أحمد (ت614هـ/1217م).
- "تنكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار"، دار الكتاب المصري، مصر
- 7- الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م)

- "معجم الأدباء" المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، 7 أجزاء، تحقيق، عمر فاروق الطباع، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، 1999م.
- 8- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م).
- "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
- 9- ابن خلكان: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ/1281م).
- "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق، احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م.
- 10- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م).
- "سير أعلام النبلاء"، 17 جزء، تحقيق، محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1997م.
- "العبر في خبر من غير"، 4 أجزاء، تحقيق، محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، 1987م.
- 11- سبط بن الجوزي: شمس الدين أبي المظفر، يوسف بن قزاوغلي (ت654هـ/1256م).
- "مرآة الزمان في تاريخ الأعيان"، تحقيق، مسفر بن سالم الغامدي، الجزء الأول، السعودية، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة، 1987م.
- "مرآة الزمان في تاريخ الأعيان"، تحقيق، حيدر أباد الدكن، الهند، ج8،
- 12- أبو شامة: شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل (ت665هـ/1266م)
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق، إبراهيم الزبيق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.

- 13- ابن شداد: بهاء الدين يوسف (ت632هـ / 1234م).
- "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"، دار الفكر، د.ت.
- 14- ابن الشحنة: أبو الوليد محب الدين محمد بن محمد (ت815هـ/1412م).
- "روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر"، بهامشه الجزء الثامن من كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، طبعة القاهرة، 1873م.
- 15- "ابن شداد الحلبي: عز الدين أبي عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم (ت 684هـ/1258م).
- "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة"، تحقيق، سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1992م.
- 16- الصفدي: صلاح الدين خليل أيبك (ت764هـ/1362م).
- "الوافي بالوفيات"، تحقيق مجموعة من الأساتذة، فرانز شتاينريغيسبادن، بيروت، 1963م.
- 17- ابن العبري: غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون (ت660هـ/1286م).
- "تاريخ مختصر الدول"، بيروت، د.ت.
- 18- ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت660هـ/1286م).
- "بغية الطلب في تاريخ حلب"، تحقيق، سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت، 1988م.
- "زبدة الحلب من تاريخ حلب"، تحقيق، سامي الدهان، دمشق، 1968م.
- 19- ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله (ت 571هـ / 1175م).
- "تاريخ دمشق"، تحقيق، علي شيري، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998
- 20- العماد الأصفهاني: عماد الدين بن عبدالله محمد بن محمد الكاتب (ت597هـ/1201م).

- "البرق الشامي"، تحقيق، فالح حسين، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، 1987.
- 21- ابن العماد: شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي (ت1089هـ/1678م).
- "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، 8 أجزاء، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت
- 22- العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت749هـ/1349م).
- "مسالك الأبصار"، نشر، أحمد علي باشا، القاهرة، 1924م.
- 23- أبو الفداء: إسماعيل بن علي بن محمود (ت732هـ/1331م).
- "المختصر في أخبار البشر"، جزءان، علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- 24- ابن قاضي شهبة: بدر الدين الاسدي (ت874هـ/1469م).
- "الكواكب الدرية في السيرة النورية"، تحقيق، محمود زايد، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1971م.
- 25- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م).
- "أخبار البلاد وأخبار العباد"، دار صادر، بيروت، 1969، د.ط
- 26- ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة (ت555هـ/1160م).
- ط "ذيل تاريخ دمشق"، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.
- 27- الكتبي: محمد بن شاكر (ت764هـ/1362م)
- "قوات الوفيات"، 5 أجزاء، تحقيق، احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973م.
- 28- ابن كثير: أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت774هـ/1372م).

- "البداية والنهاية"، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.
- 29- المقدسي: محمد بن أحمد (ت390هـ/999م).
- "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، تحقيق، غازي طليعات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1980م.
- 30- المقرئ: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت845هـ/1441م).
- "تعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء"، جزءان، تحقيق، محمد حلمي احمد، القاهرة، 1971، د.ط.
- 31- ابن منقذ: مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي الكناني الشيزري (ت584هـ/1188م).
- "كتاب الاعتبار"، تحرير، فيليب حتي، مطبعة جامعة برستون، أمريكا، 1930، والدار المتحدة، 1986م.
- 32- ابن ميسر: تاج الدين محمد علي (ت677هـ/1278م).
- "المنتقى من أخبار مصر"، تحقيق، أحمد فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للأثار، القاهرة، 1981، د.ط.
- 33- النعمي: عبد القادر بن محمد (ت978هـ/1570م).
- "الدارس في تاريخ المدارس"، جزءان، فهرسة، ابراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
- 34- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م).
- "نهاية الأرب في فنون الأدب"، 31 جزء، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1992.
- 35- ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1298م).
- "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب"، تحقيق، جمال الدين الشيال، إدارة احياء التراث، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957م.
- 36- ابن الوردي: زين الدين عمر بن المظفر ابن أبي الفوارس (ت749هـ/1348م).

- "تتمة المختصر في أخبار البشر" المعروف بتاريخ ابن الوردي، تحقيق، احمد رفعت البدرابي، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1970م.

المصادر الأجنبية المترجمة:

- 1- الصوري: وليم" الأعمال المنجزة فيما وراء البحار"، ترجمة سهيل زكار، ط1، دار الفكر، 1990م
- 2- المؤرخ المجهول: "أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1958م.

المراجع باللغة العربية:

- 1- البيشاوي: سعيد عبدالله، "تابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية"(492-690هـ/1099-1291م)، دن، عمان ، الأردن، ط1، 1991م.
- 2- الجميلي: "السفن الإسلامية على حروف المعجم"، دار المعارف، مصر، 1979م.
- 3- الجنزوري: علي، "إمارة الرها الصليبية"، طبعة القاهرة، 1974م.
- 4- خليل عماد الدين: "عماد الدين زنكي"، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1982م.
- 5- زكي: عبد الرحمن، "السيف في العالم الإسلامي"، طبعة القاهرة، 1972م.
- 6- السرطاوي: محمود فايز ابراهيم، "تور الدين زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية"، عمان، دار البشير، ط1، 1990م.
- 7- سرور: محمد جمال الدين "الدولة الفاطمية في مصر"، طبعة القاهرة، 1960م.
- 8- عاشور: سعيد عبد الفتاح، "الحركة الصليبية"، الجزء الثاني، ط7، مكتبة الأنجلو، 1978.
- 9- عاشور: فايد حماد، "جهاد المسلمين في الحروب الصليبية"، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، د.ط

- 10- الرويضي: محمود محمد "إمارة الرها الصليبية"، عمان، 2002م.
- 11- العريني: السيد الباز، "الشرق الأدنى في العصور الإسلامية الأيوبية"، دار النهضة، القاهرة
- 12- عطية: محمد حسين "إمارة إنطاكية الصليبية والمسلمون 567-666هـ/1171-1268م"، دار المعرفة، جامعة الإسكندرية، ط1، 1989م.
- 13- عوض: محمد مؤنس "السياسة الخارجية للدولة النورية 541-569هـ/1146-1174م"، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، 1998م.
- 14- المغلوث: سامي عبدا لله، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، الرياض، 2008م.
- 15- مؤنس: حسن "نور الدين بن زكي فجر الحروب الصليبية"، ط2، الدار السعودية للنشر، جدة، 1984م.
- 16- ابن موسى: تيسير "نظرة عربية على غزوات الإفرنج منذ بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين"، الدار العربية للكتاب، د.ت. ط.

المراجع العربية المترجمة:

1. بردج: انتوني "تاريخ الحروب"، ترجمة أحمد غسان اسبانو ونبيل الجيرودي، راجعه سهيل زكار، د.ط، دار قتيبة، 1985م.
2. رنسيان: ستيفن "تاريخ الحروب الصليبية" ، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1969م.
3. سميل: ريلي "الحروب الصليبية"، ترجمة سامي هاشم، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982م.

المراجع الأجنبية

- 1- Ibn Al-Ather: Abu Al-Hasan Ali bin Abi Al-Karam Al-Shaibani Al-Jazari. He's known as Ez Al-Deen (630 AH / 1232 AD)

- Al-Kamel fi Al-Tarikh". Edited by Abu Al-Fida Abdullah Al-Qadi, 2nd edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1995.
- "Al-Tareekh Albaher fi Aldawlah Altabekeyeh fel Mousel. Edited by Abdul Qadir Ahmed Tulaimat, 2nd Edition, Dar Al-Kutub Al-Hadithah, Cairo, 1995.
- 2- Al-Idrisi: Abu Abdullah Muhammad bin Muhammad bin Abdullah bin Idris (650 AH / 1164 AD).
- "Nuzha Al-Mushtaq fi Ekhteraq Alafaq. Althaqafah Aldeeneyah Library. Cairo, 1994 AD.
- 3- Ibn Iyas: Mohammad bin Ahmed (930 AH / 1524 AD).
- "Bada'i Al-Zohour fi Waqa'iq Al-Daur. Edited by: Muhammad Mustafa, 2nd edition, theGeneral Egyptian Book Organization, Cairo, 1982.
- 4- Al-Bandari: Al-Fath bin Ali bin Muhammad (622 AH / 1225 AD)
- "Sana Al-Barq Al-Shami", abbreviated as Al-Barq Al-Shami by Imad Al-Isfahani. Edited by: Fathia Al-Nabarawi, Engy, Cairo, 1997 AD.
- 5- Ibn Taghri Bardī: Abu al-Mahasin Jamal Al-Din Yusuf (874 AH / 1469 AD).
- Alnojoom Alzaherah fi Muluk Maser wal Qaherah. The Egyptian General Institution for Authorship, Cairo, D.T
- 6- Bin Jubayr: Muhammad Bin Ahmed (614 AH / 1217 AD).
- "Tathkeret Al-Akhbar an Itifaqat Al-Asfar, Dar Al-Kitab Al-Masry, Egypt
- 7- Al-Hamawi: Shihab Al-Din Abi Abdullah Yaqut bin Abdullah (626 AH / 1228 AD)
- "Mu'jam Alodoba'. It's known as 'Ershad Alareeb ela Ma'refet Aladeeb. 7 parts. Edited by Omar Farouk Al-Tabbaa, 1st edition, Al-Maaref Foundation, Beirut, 1999 AD.
- 8- Ibn Khaldun: Abd Al-Rahman bin Muhammad al-Hadrami (808 AH / 1405 AD).
- Al-ebar wa Diwan Almutbada' wal Khabar fi ayam alarab wal ajam wal barbar wa man asarhoom men thawi Alsultan Alakbar. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1992 AD.

- 9- Ibn Khalkan: Abi Al-Abbas Shams Al-Din Ahmed bin Muhammad (681 AH / 1281 AD).
- "Wafeyat Alayan wa anba' abna' Alzaman. Edited by Ihsan Abbas, Dar Althaqafah. Beirut, 1968 AD.
- 10- Al-Thahabi: Shams Al-Din Muhammad bin Ahmed bin Othman (died on 748 AH / 1347 AD).
- Sayr A'lam Alnobola'. 17 parts. Edited by Moheb Al-Din Abi Saeed Omar Bin Gharamah Al-Amrawy, 1, Dar Al-Fikr, Beirut, 1997 AD.
 - "Al-Ebar Fo khabar men ghabar. 4 parts. Edited by, by Muhammad Al-Saeed bin Bassiouni Zaghloul, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, D.T.
 - tarikh Aleslam wa Wfeyat Almashahir wal E'lam. Edited by, Omar Abdel Salam Tadmuri, 1st edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Lebanon, 1987 AD.
- 11- Sibt bin al-Jawzi: Shams al-Din Abi al-Mudhaffar, Yusuf bin Qazaw'ghli (654 AH / 1256 AD).
- Mer'at Alzaman fe tarekh Ala'yan. Edited by: Misfir bin Salem Al-Ghamdi, Part One, Saudi Arabia, Umm Al-Qura University, The Institute of Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, Mecca, 1987. AD.
 - Mer'at Alzaman fe tarekh Ala'yan". Edited by: Haydar Abad Aldaken. India, Part 8,
- 12- Abu Shama: Shihab al-Din Abi Muhammad Abd al-Rahman bin Ismail (665 AH / 1266 AD)
- Al-Rawdatain fi Akhbar Al-Dawlaat Al-Nuriya wa Al-Saliha. Edited by: Ibrahim Al-Zeibaq, 1st Edition, Al-Resala Foundation, Beirut, 1997.
- 13- Ibn Shaddad: Bahaa al-Din Yusuf (632 AH / 1234 AD).
- "Al-Nawadir Al-Sultaniya and Al-Mahasin Al-Youssoufia", Dar Al-Fikr, D. T.
- 14- Ibn al-Shibhah: Abu al-Walid Muhib al-Din Muhammad ibn Muhammad (815 AH / 1412 AD).

- "Rawdat al-Manazir fi Akhbar al-Awa'il wa al-Aakher", with its footnotes. The eighth part of Ibn al-Atheer's book that's titled (Al-Kamil fi al-Tarikh). Cairo edition, 1873 AD.
- 15- " Ibn Shaddad al-Halabi: Izz al-Din Abi Abdullah Muhammad bin Ali bin Ibrahim (d. 684 AH / 1258 AD).
- "Alalaq Alkhateerah fe theker Omara' Alsham wal jazeera. Edited by: Sami Al-Dahan, the French Institute for Arab Studies, Damascus, 1992.
- 16- Al-Safadi: Salah al-Din Khalil Aybak (764 AH / 1362 AD).
- "Al-Wafi bel Wafeyat. Edited by: A group of professors, Franz Steinerbweisbaden, Beirut, 1963 AD.
- 17- Ibn Al-Abri: Gregory Abi Al-Faraj bin Aharon (660 AH / 1286 AD).
- "tareekh mukhtasar Alduwal. Beirut, D. T
- 18- Ibn al-Adim: Kamal al-Din Omar bin Ahmed bin Heyat Allah (660 AH / 1286 AD).
- "Bagheyat Altalab fi tareekh halab. Edited by: Suhail Zakkar, 1st edition, Dar Al-Fikr, Beirut, 1988 AD.
- "Zubdet Alhalb men tareekh halab. Edited by: Sami Al-Dahan, Damascus, 1968 AD.
- 19- Ibn Asaker: Abu Al-Qasim Ali bin Al-Hassan bin Heba Allah bin Abdullah (died in 571 AH / 11175 AD).
- Tareekh Demashq. Edited by: Ali Sherry, 1st edition, Dar Al-Fikr for printing and publishing. Beirut, 1998
- 20- Al-Imad Al-Isfahani: Imad Al-Din bin Abdullah Muhammad bin Muhammad Al-Katib (597 AH / 1201 AD).
- "Al-Barq Al-Shami. Edited by: Faleh Hussein, 1st edition, Abdul Hameed Shoman Foundation, Amman, Jordan, 1987.
- 21- Ibn al-Imad: Shihab al-Din Abi al-Falah Abd al-Hay bin Ahmed bin Muhammad al-Hanbali al-Dimashqi (died 1089 AH / 1678 AD).

- Shathrat Al-Thahab fe akhabar men thahab. 8 parts, Edited by: Mustafa Abdel-Qader Atta, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut, d.t
- 22- Al-Omari: Shihab Al-Din Ahmed bin Yahya bin Fadlallah (749 AH/1349 AD).
- "Masalek Alabsar. Published by Ahmed Ali Pasha, Cairo, 1924 AD.
- 23- Abu al-Fida: Ismail bin Ali bin Mahmoud (732 AH / 1331 AD).
- "Al-Mukhtasar fi Akhbar Al-Bishr", two parts, commented on and footnoted by Mahmoud Diop, 1, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1997.
- 24- Ibn Qadi Shahba: Badr al-Din al-Asadi (874 AH / 1469 AD).
- "Al-Kawakib Al-Dariah fi Al-Sirah Al-Nouri", investigation, Mahmoud Zayed, 1st edition, Dar Al-Kitab Al-Jadeed, Beirut, 1971 AD.
- 25- Al-Qazwini: Zakariya bin Muhammad bin Mahmoud (d. 682 AH / 1283 AD).
- "Akhbar Al-Bilad wa Akhbar Al-Abbad", Dar Sader, Beirut, 1969, d.t.
- 26- Ibn al-Qalansi: Abi Ya`la Hamza (d. 555 AH/1160 AD).
- Thail Tareekh demashq. Alaba' Alyasoo'eyeen Printing house. Beirut, 1908 AD.
- 27- Al-Ketbi: Muhammad bin Shakir (764 AH / 1362 AD)
- "Fawat al-Wafeat", 5 parts, investigation, Ihsan Abbas, Dar Althaqafeh, Beirut, 1973.
- 28- Ibn Katheer: Abi Al-Fida Ismail bin Omar (774 AH / 1372 AD).
- "Albedaya wa Nehayah. Al-Maaref Library, Beirut, D.T.
- 29- Al-Maqdisi: Muhammad bin Ahmad (390 AH / 999 AD).
- "Ahsan Altaqaseem fi ma'refet Alaqaaleem. Edited by: Ghazi Tulaimat, The Ministry of Culture and National Guidance, Damascus, 1980 AD.
- 30- Al-Maqrizi: Taqi Al-Din Ahmed bin Ali bin Abdul Qadir (845 AH / 1441 AD).
- "Eteath Alhanfah be Akhabr Al-A'emah Alfatemeyeen Alkholfah'. Two parts, Edited by: Muhammad Helmy Ahmed, Cairo, 1971, d.
- 31- Ibn Munqith: Mo'ayed Aldawlah Abu Almuthafar Osama bin Murshed bin Ali Al-Kinani Al-Shizari (584 AH / 1188 AD).

- "Ketab Ale'tebar. Edited by Philip Hitti, Preston University Press, America, 1930, and Al-Dar Almotahedah. 1986 AD.
- 32- Ibn Maysir: Taj al-Din Muhammad Ali (677 AH / 1278 AD).
- "Al-Muntaqa min Akhbar Masr", Edited by: Ahmed Fouad Sayed, The French Institute of Archeology, Cairo, 1981, d.
- 33- Al-Nuaimi: Abdul Qadir bin Muhammad (died in 978 AH / 1570 AD).
- "Aldares fe tareekh Almadares. Two parts. Edited by: Ibrahim Shams Al-Din, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1990 AD.
- 34- Al-Nuwairi: Shihab al-Din Ahmad ibn Abd al-Wahhab (died on 733 AH / 1332 AD).
- "Nahyat Al-Arb fi Foun Al-Adab", 31 volumes, Tahqeeq Altorath Center, Cairo, 1992.
- 35- Ibn Wasil: Jamal al-Din Muhammad bin Salem (697 AH / 1298 AD).
- Mufarrej Al-Karub fi Akhbar Bani Ayyub. Edited by: Jamal Al-Din Al-Shayal. Edaret Ehya' Altorath , Al-Amiriya Press, Cairo, 1957 AD.
- 36- Ibn al-Wardi: Zain al-Din Omar Ibn al-Muzaffar Ibn Abi al-Fawares (749AH/1348AD).
- "Tatemet Al-Mukhtasar fi Akhbar Al-Bishr. It's known as Tarikh Ibn Al-Wardi. Edited by: Ahmed Refaat Al-Badrawi, 1st edition, Dar Al-Maarifa, Beirut, 1970 AD.

Translated and foreign references:

- 1- Al-Suri: William "Works Accomplished Overseas". Translated by Suhail Zakkar, 1st edition, Dar Al-Fikr, 1990 AD
- 2- Almo'areh Almajhool. A'mal Alfaranjah almunjazah fema wara' Albehar. Translated by Hassan Habashi, Cairo, Dar al-Fikr al-Arabi, 1958 AD.

Works published in Arabic

- 1- Al-Bishawi: Saeed Abdullah, "Nablus, the political, social, cultural and economic conditions during the era of the Crusades" (492-690 AH/1099-1291 AD), D. N., Amman, Jordan, 1, 1991 AD.

- 2- Al-Jumaily: "Alsufun Aleslameyah ala horoof Almu'jam. Dar Al-Maaref, Egypt, 1979 AD.
- 3- Al-Ganzouri: Aliyah, "Imaret Alruha Alsaleebeyeh. Cairo Edition, 1974 AD.
- 4- Khalil Imad Al-Din: "Imad Al-Din Zangi", Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon, 2nd edition, 1982 AD.
- 5- Zaki: Abdel Rahman, "Alsayf fe Al-Alam Aleslami. Cairo Edition, 1972.
- 6- Al-Sartawi: Mahmoud Fayez Ibrahim, Nour al-Din Zangi fel adab alarabi fe asr Alhoroob Alsaleebeyey. Amman, Dar Al-Bashir, 1st edition, 1990 AD.
- 7- Sorour: Muhammad Jamal al-Din, "Adawlah Alfatemeyeh fe maser. Cairo Edition, 1960 AD.
- 8- Ashour: Said Abdel-Fattah, "Alharakeh Alsaleebeyeh Crusade Movement", Part Two, 7th Edition, Anglo Library, 1978.
- 9- Ashour: Fayed Hammad, "Jihahd Almuslemeen fel horoob Alsaleebeye. Al-Resala Foundation, Beirut, 1985, d.
- 10- Al-Arini: Al-Sayyid Al-Baz, "Alsharq Aladnah fel Osoor Aleslmeyah Alayoobeyah. Dar Al-Nahda, Cairo
- 11- Attia: Muhammad Hussein. Emaret Antakyah Alsaleebeyeh wal Muslemoon. 567-666 AH / 1171-1268 AD", Dar al-Maarifa, Alexandria University, 1st edition, 1989 AD.
- 12- Awad: Muhammad Mu'nes. Alsayesah Alkharejeyah le dawleh nowawyyeh 541 -569 AH / 1146-1174 AD", Ain le derasat wal bohooth elensaneyah. Cairo, 1998 AD.
- 13- Munis: Hassan, Nur al-Din bin Zenki, Fajr alhoroob alsaleebeyah. 2nd edition, Saudi Publishing House, Jeddah, 1984 AD.
- 14- Ibn Musa: Tayseer Nathrah arabeyah ala gazwat alefranj month bedayet alhoroob alsaleebeyah hata wafat noor aldeen. Aldar Alarabeyah lel ketab. D.T.T.

References translated to Arabic language:

- 1- Bridge: Anthony, Tareekh alhoroob. Translated by Ahmed Ghassan Espano and Nabil Al-Jiroudi. Edited by Suhail Zakkar, d., Dar Qutaiba, 1985 AD.

- 2- Runciman: Stephen, History of Crusades. Translated by Sayyid Al-Baz Al-Arini, Dar Al-Thaqafa, Beirut, 1969.
- 3- Smil: Riley, "The Crusades". Translated by Sami Hashem, 1st Edition, Almu'asah Alarbeyah le derasat wal nasher. Beirut, 1982.

الملاحق:



المغلوث: سامي عبدالله ، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، الرياض،

1429هـ/2008م.